

الواقعية الفنية

للأستاذ عبد الوهاب محمود

اللجنة المزيلة حتى ذهب بعضهم إلى الالتجاء للغة العامية (١) ، إلا أن حقيقة هذا المذهب الأدبي غير مابرى هذا الفريق؛ فالفنان كما يقول توفيق الحكيم (٢) ليس يعحرر تقاريره ، وإنما هو محرر عواطفه . وليست الأمانة المطلوبة منه نقل الأحداث دون الشاعر والمواطن ، فالواقعية كما يرى دهباميل ليست بالواقعية الفوتوغرافية (Réalité photographique) التي لا يخرج عملها عن عمل آلة التصوير التي (كافت) باللقاط الواقع بحركة آلية عمياء جافة . ولعل الذي دفعني إلى كتابة هذه المجلة تلك المسالك السود ، التي أخذ يسلكها نفر من كتابنا حتى مسخروا وجه الحقيقة وفدا أدهم لا يعدو تلك (اللقمة) التي تربع على مائدة الطعام ، أو تلك الصور التي يشيع فيها التشاؤم والرعب من الحياة

الواقعية الفنية لا تبعدنا عن حياتنا - كما يظن - بل هي الواقع المحس قد داعبته أنامل الفنان ، وقد يرسم الفنان - الشاعر أو القصاص - صوراً ماثلة في الواقع ، واقعة حقاً ، وقد لا تكون كذلك كما لا يلزمنا أن تكون تلك الصورة المنقولة صورة سامية حسنة جميلة ، بل كل ما يطلبه الفن نقل الصورة نقلاً فنياً ، وكل ما يطلبه الواقع نقلها بأمانة . وإذا صهرنا مطالب الفن ومطالب الواقع - في بوتقة واحدة - ظهر لنا (الأدب الواقعي الفني) الذي هو نفسه الأدب المصور المؤثر

ويحضرني الآن رأي للأستاذ المداوي نشره في تمقيباته في عدد الرسالة الفاتت (٣) إذ قال : الواقعية غربان ، واقعية أولى ويكون فيها نموذج الشخصية موجوداً (بالفعل) في الحياة ، والواقعية الثانية ، ويكون فيها نموذج الشخصية موجوداً (بالإمكان) . ولم يقف الأستاذ المداوي عند هذا الحد ، وإنما ذهب إلى تعريف الواقعية الأولى فقال (هي نقل مباشر لصور الحياة وطبائع الأحياء ، كما هي في الواقع المحس الذي تلمسه العين وتألّفه النفس) ولو وقف الأستاذ عند قوله : (إنها نقل مباشر لصور

عاشت المدرسة الابتداعية (Ecole Romantique) في عالم من خيال تتقاذفها صور السكّابة والحنين والياس ، ويشق الاقتراب الروحي طريقه إلى نفوس كتابها ، فلجوا بدورهم في دنيا من ضباب ، وسلكوا في أساليبهم مسلكاً تشيع منه الأحزان والشاعر النفسية القلقة المضطربة . ولعل (هوجو) خير من يمثل هذا المذهب الفني الأدبي

وكرد فعل لهذه المدرسة التي غالت في الخيال برزت المدرسة الواقعية (Ecole Realiste) في ميدان الأدب ، وسرعان ما سارت في هذا الميدان واتجه إليها كثير من الأدباء أنجماها فنيا صادقاً يتمشى مع روح الواقعية الحقة بينما سلك آخرون سبيلاً ملتوية ، لا تمت إلى الواقعية الفنية بسلة . ومن آثارها ذلك الإنتاج الغزير الهني (تقذفه) إلينا الصحف والمجلات ، وبخاصة تلك الصحف التي تبني السكسب المادي . وكثير أنصار هذه الواقعية الحقاء التي تتجسم بنقل الواقع نقلاً (فوتوغرافياً) جافاً جامداً كأنتمثل بتلك

يسمح للمريض باسترجاع الذكريات المؤلدة على دقعات . فما لوحظ أن الذكرى المكدره لا تسترجع أولاً وإنما تأتي الأفكار التي تربط بهذه الذكرى .. ومنها يتدرج إلى الذكرى المؤلدة حقاً . وهكذا فإن المريض لا يواجه ما ينقصه مرة واحدة .. بل يأخذه جرعة جرعة ، يضاف إلى ذلك أن وجود الملل يشجع المريض ويقوى أنيته . فكل اضطراب نفسي له علته مهما كان غموضه في الظاهر ، وعمل الملل الكشف من هذه الملل .. ولا يستطيع القيام بذلك إلا من هي ليقابل بهدوء كل محتويات القهن اللاشمورية .. وكان لديه خبرة واقعية بطريقة حل الصراع

فائزة على كامل

البية في المدد القامد

(١) يرى الأستاذ أحمد حسن الزيات بك أن الانجلاء إلى العامية

نتج عن جهل بعض الأدباء باللجنة القصص (فلاح من البلاغة)

(٢) (تحت المصباح الأخضر)

(٣) الرسالة عدد ٩٣٩ ، السنة التاسعة عشرة

الناس وظواهر الأمور فعمله هذا بعيد عن الحقيقة بمرتين ، فالفن إذن - على هذا الرأي - ضرب من العبث ما دام يبعدنا عن الحقيقة ، والرجل العاقل لا يشد ذلك . ولو كان الفن - والأدب - تقليدا للطبيعة حقا ، أو هو نقل مباشر لها ، لتقبلنا رأى أفلاطون وسكتنا ، وتقبلنا رأى الأستاذ المداوى وصمتنا ، ولكن الفن ليس تقليدا للطبيعة فقط ، كما أنه ليس نقلا مباشرا فقط . إنما يتدخل الخيال وتلج المهارة الفنية في ذلك الميدان لترفعه من حضيض التقليد الأعمى إلى قمة الخلق والإبداع ، وتقليد ما يتصوره الخيال ، فيكون عمل الخيال - هنا - لا يبدو مجرد تقطير الأحداث الواقعية باستبعاد جميع نواحيها السخيفة . ولكن هذا وحده - كما يقول لاسل آبر كرمي - كاف لأن يجعل الشعر (الأدب) الناتج عن هذا شيئا مخالفا لتلك الصورة المنسوخة التي نوهما أفلاطون نفسه ، وجعلها سببا للطنن في الشعر (٦) ، ونضيف نحن أيضا أن تقطير الأحداث الواقعية بواسطة الخيال كفيلا لأن يكون لنا شيئا مخالفا لتلك الصورة التي نقلها نقلا مباشرا من الواقع والتي يراها الأستاذ المداوى مادة لواقعيين

ولو سلمنا أن الفن تقليد للطبيعة أو نقل مباشر لصور الحياة أو أن الفن مرآة للواقع ؛ كنا بذلك قد ابتعدنا عن الحقيقة بمرتين أو ثلاثة - كما يقول أفلاطون - إنما الفن دفعة من النور تكشف لا عن مظاهر الحياة التي تألفها النفس وتلمسها العين ؛ ولكن عن خفايا تلك المظاهر ؛ عما وراء المظاهر ، فظواهر الأمور كثيرا ما تخفي شيئا (دسما) للفن ، فالخزن في صورته الظاهرة تقطيب الوجه وتقارب الحاجبين مثلا ، ولكن هل هذا هو كل الحزن الذي نلح به ؟ . . . كلا . . . باستطاعة أي إنسان أن يقطب وجهه ويقرب حاجبيه ، ولكن هل يشعر هذا (الممثل) شعور ذلك المفجوع الكلوم ؟ . . . على هذا ، فهل من الإنصاف أن ننصف المظاهر (الآلى) ونعرض عن تلك (الحرقرة الألبية) التي هي في الحق مشاعرنا التي تنقابتنا

والأدب كما يقول (كرمي) توصيل (Communication)

(٦) قواعد النقد الأدبي - لاسل آبر كرمي - ترجمة الدكتور

عمد هوش محمد

الحياة وطبائع الأحياء) لمان الخطب وما جعل ذلك النقل مقيدا (بما تلمسه العين وتألفه النفس) كما أنه لو احتسب الأستاذ في قوله وقال : (إنها نقل مباشر لصور الحياة وطبائع الأحياء كما هي في الواقع المحس الذي تلمسه عين الفنان وتألفه نفسه) بدلا من إطلاق (العين والنفس) التي تدعو إلى جعل الفن ضربا من ضرب العبث ، كما يجعل - هذا الإطلاق نفسه - الفنان والرجل المادى في كفة متساوية من حيث الإحساس (٤) ، أقول لو قال الأستاذ (عين الفنان ونفسه) لسهل الأمر ومادعانا إلى الولوج في دهايز الظلمة والجهل ، وهو يقصد الإيضاح والإعلام . ورأى الأستاذ المداوى أيضا يبعث إلينا من جديد تلك الصفة التي وجهها أفلاطون لفن الشعر ، كما بعيد إلينا صدى العبارة اليونانية التي تقول : (إن الفن تقليد للطبيعة) والتي استعملها أفلاطون نفسه للطنن في الشعر ، وبودنا لو استطاع الأستاذ أنور المداوى أن يجيب على هذه الأسئلة التي (تلتق) بالى في تعريفه القى ذكرته ، وأول ما يتلقانا من الأسئلة هذا السؤال - إذا كانت الواقعية نقلا مباشرا لصور الحياة التي تلمسها العين وتألفها النفس ، فما فائدة هذا النقل إذن ؟ وما فائدة تلك الصورة (المفردة) للواقع مادنا نستطيع النظر إلى الأصل نفسه ؟ بل ، ما فائدة الفن إذا كان نقلا مباشرا لما تألفه النفس وتلمسه العين ؟ ...

يقول أفلاطون : إن نهاية الرجل العاقل تنصب في الوصول إلى الحقيقة ، لذا كانت مناقتنا بالأشياء ، لأنها ممثلة للحقيقة . وتكتسب هذه الأشياء حقيقتها من الأفكار التي تمثلها . فالمصور يقلد (٥) الأشياء ، والأشياء بدورها تمثل الأفكار ، والأفكار هي الحقيقة ، فيكون اتصال الفنان المصور بالحقيقة اتصالا بعيدا منها بثلاثة مراتب . ولما كان الشاعر يقلد أعمال

(٤) الفنان يرى وحس ويبر تيميا مؤثرا ، أما الرجل المادى فيرى وحس ، ولد لا يرى ولا يحس ، ولكنه في سكتنا المالتين لا يبر

(٥) نلاحظ هنا كيف يستغل أفلاطون تعريف الفن (بأنه تقليد للطبيعة) لينسج له الطمن في الشعر ، ونحن نلح برباه إلى الطمن بالنسب لئلا كان تقليدا أعمى للطبيعة ، أولانا كان نقلا مباشرا كما يقول الأستاذ للمداوى . . .

على أشياء في السوق لا تزال
 — تنير الزمن اليوم ، ولو أردت الشراء لا اشتريت
 هنا الدرهم في الكيس ، وهناك أشياء الأمتس في السوق
 ولكن يا ترى ذلك الفنى المحروم ؟
 — طالما شكنا قلب الإنسان لأن (اثنين واثنين أربعة)
 لا هي ثلاثة كما نودها حيناً ولا هي خمسة كما نودها بعد حين
 وأحسبه سيشكر إلى آخر الزمان
 هذه صورة من الواقع ، ولكن هل هي نقل مباشر اصور
 ٥ ٥ ٥

الحياة ... مما تلمسه العين ونأفقه النفس ؟ هل هذه الصورة التي
 نقلها هوسمان هي صورة الواقع المحس فقط ؟ ألم يصف هوسمان
 شعوره وعواطفه وآماله التي سرعان ما تتبدل وتتغير ؟ ...
 لقد صور لنا هوسمان الواقع المحس ونقل إلينا أحاسيسه
 ومشاعره نقلاً فنياً من الصعب سبل من الصعب جداً أن ننكر
 ذلك الواقع الفنى الذى نقله هوسمان

محمد عبد الوهاب

المراق . جرة

يحدث بين المؤلف والقارى ، يمرض المؤلف أدبه بوصف مشاعره
 وإحساساته وتبيان أثرها في نفسه ، وهذه الأصداء النفسية هي
 التي تمثل (الذاتية) الأمتس الأكبر للرومانتيكية الابتدائية ،
 ولكن الأدب ليس كل ذلك ، إنما يراد للتوصيل أن يبلغ المؤلف
 ساحة أخرى هي (الموضوعية) وبذلك يرضى قارئه حتى يتقبل
 ذلك الأدب ، وحتى يتم ذلك التوصيل . والموضوعية كما نعلم -
 تخاطر الواقعية - وبذا نكون لنا في الأدب جانباً لها الموضوعية
 والذاتية (ولكن كل منهما على حده لا يعبر عن الحقيقة) لذا
 نرى أن على الأديب الواقعي الفنان أن يلتزم هذين الجانبين في أدبه
 ولا يهمل (الذاتية) في نقل الواقع فيجئ نقله محابداً (إن صح
 وجود النقل المحايد في الأدب . ذلك لأن الإدراك نفسه غير محايد
 كما تقول نظرية الكتاب الفرنسي الوجودي سارتر)

فالواقعية الفنية تتمثل بالجانب الذاتى والموضوعى ، كما تتمثل
 بالعناية بوساطة الأدب (اللغة) وعنايتنا باللغة تم من طريق
 معرفة المفردات وما توحىه كل لفظة من صور وممان ، وما تحدثه
 من جرس

ومن أدب الواقعية الفنية قصة (آلام) للكتاب الروسي
 مكسيم غوركي و (قصة أنا كارينينا) للفيلسوف الروسي
 (ليون تولستوى) وقصة (نس سليلة ربرفيل) للشاعر القصص
 توماس هاردى ، ونحفة فلوبيير الخالدة (مدام بوقارى) ، كما
 نجد الواقعية العنيفة تتجلى في كتاب (الأيام) للدكتور طه
 حسين ، وكتاب (مصفوف من الشرق) للأستاذ توفيق الحكيم .
 ومن قرأ هذا الفصل لا يستطيع إنكار الخصائص الفنية التي
 ذكرناها عن الأدب الواقعي الفنى

والمقصود قصيدة هوسمان الشاعر الإنجليزي (إلى السوق أول
 مرة) (٧) خير مثال للواقعية التي ذهبنا إليها ، فلذا رأينا أن نمرضاها
 زيادة الإيضاح :

— يوم أنشأت أذهب إلى السوق ، أوائل عهدي بالأسواق
 كانت الدرهم في الكيس جد قليلة
 وكم طال بي النظر وكم طال بي الوقوف ا

مطبوعات المجمع

العراقي

تاريخ العرب قبل الاسلام

أوسع كتاب في تاريخ العرب قبل الإسلام

جمع من الكتابات العربية الجاهلية ومن

النصوص الكلاسيكية والتوراة والتلمود

تأليف الدكتور

جواد هلى

طبع عام ١٩٥١